حكايات نبوية

١٤

إنها بركات المصطفى صلى الله عليه وسلم

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في رِحَابِ المَسجِدِ

في أَواخرِ خطبَةِ الجُمُعَةِ المُباركَةِ ، قَدَّم الخطيبُ دعوةً للرجالِ والنِّساءِ والأَطفالِ لحضورِ احتفالٍ دِيني يُقيمهُ أَحبابُ المُصطَفى ﷺ في المَسجدِ الكَبيرِ ، وذلكَ بمناسبةِ ذكرَى غزوَةِ الخَندقِ..

ولمَّا انتهتِ الخطْبةُ وقفتْ مُديرةُ المَعهدِ في قسمِ النِّساءِ وقَالتْ للحاضِرَاتِ: عَليكنَّ الحُضورُ بعدَ صَلاةِ المَغربِ.. ولا بأسَ في أن تصطحبَ كلّ واحدةٍ منكنَّ أمَّها أو أخواتِها أو جَاراتها.. فَأمثَالُ هذهِ المُناسَباتِ فيها الخَيرُ والنَّفعُ للجَميعِ..

وَاكْتظَّ المَسجِدُ بالحَاضِرينَ والحَاضِراتِ. وَكأنَّ هناكَ تَدافعاً حولَ أَمرٍ عَظيمٍ..:

أَجَلْ! فالجميعُ في شَوقٍ للاستماعِ إلى ما يدورُ حولَ الحبيبِ ﷺ.

قالتِ الآنسةُ (لبيبةُ): هذا الازْدِحامُ فيه الدَّليلُ الواضِحُ على الفَرْحةِ بكلِّ ما له علاقةٌ بالرَّسولِ ، وينطبقُ على ذلك قولُ اللهِ تعالى:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

ووقَفَ عَرِّيفُ الحَفْلِ ، وقال: بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتمِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وبعد:

في السَّنةِ الخامسة للهجرة ، تَجَهَّزَتْ قُريشٌ ومَنْ تَبِعَهُم منَ العَرَبِ ، وبَلَغُوا أربعةَ آلافٍ ، وعَقَدُوا لواءَ الحربِ ، وسار معهم ثلاثمئةِ فرسٍ ،

وألــف وخمسمئــة بعيــرٍ.. وسُلِّمــتِ القِيــادةُ لأبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ...

وفي الطَّريقِ إلى المدينةِ المنوَّرةِ التحقَ بهم الكثيرُ من أهل البدو... حتى وَصَلَ عَدَدُ الأحزابِ إلى عشرةِ آلافٍ!

وكان المُشْرِكُونَ قد أَرْسَلُوا إلى اليهودِ في المدينةِ... واتَّفَقُوا على سَحْقِ المسلمينَ داخلَ المدينةِ المنوَّرةِ... وكذلك اتَّفقَ معهم المنافِقُونَ على مُساندَتِهِمْ.

لكن... ماذا يفعلُ المسلمون؟!

ثمَّ ابتدئ الاحتفالُ بتلاوةِ بعضِ آياتِ الذِّكْرِ الحكيمِ، وبعدئذٍ انتقلَ الحديثُ إلى الشيخِ (أحمد) فتحدَّث عن مُشاورةِ الرَّسولِ ﷺ للمسلمين، ثم الاتِّفاقِ على رأي سَلْمَان الفارسيِّ

رضي اللهُ عنه وهو أنْ يَقُومَ المسلمونَ بِحَفْرِ خَنْدقٍ حولَ المدينةِ المنوَّرةِ...

لكنْ هلْ أَمرَ الرَّسولُ ﷺ بحفرِ الخَندقِ ثُمَّ عَادَ إلى قَصرِهِ وحَديقتِهِ و...؟

أَبداً ، إنَّما نزلَ الرَّسولُ إلى الخَندقِ، وحَملَ المِعولَ ، ورَاحَ يعملُ كَما يعملونَ.. وفي هذا تَشجيعٌ لهم...

وَقَدْ روَى أنسُ بن مَالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قَائلاً: جَعل المُهَاجرونَ والأَنصارُ يَحْفِرونَ الخَندقَ حولَ المَدينَةِ ، وينقلونَ التُّرابَ على أَكتافِهم وظُهورِهم ، وَهُمْ يَقولونَ:

نَحنُ الذينَ بَايعوا محمَّدا

على الجِهادِ ما بَقِينَا أَبدا

ورَسولُ الله ﷺ يُجيبُهم: «اللَّهمَّ إنَّه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرَة ، فبَاركْ واغفِر للأنصارِ والمُهَاجِرَة».

ولمَّا اشتدَّ الحَرُّ أكثرَ.. وازدادَ الجُوعُ والعَطشُ.. كَادتْ بَعضُ النُّفوسِ أن تهتزَّ وتضعُفَ.. لكنَّ النَّبيَّ ﷺ أَرادَ أن يُثَبِّتَ الأَفئِدةَ.. فَراحَ يرتجزُ بكلماتِ عبدِ الله بنِ رَواحَة ، وهو ينقلُ التُّرابَ ، ويقولُ:

اللَّهمَّ لولا أنتَ ما اهتدَينَا

وَلاَ تَصَدَّقنا ولاَ صَلَّينَا

فَأَنْزِلَنْ سكينةً علينَا

وَثَبِّتِ الأَقدامَ إنْ لاقَينَا

إنَّ الأُلى قَدْ بَغَوا عَلينَا

وإنْ أرَادُوا فِتنَةً أَبَيْنَا

وحَاولَ المنافقونَ الانسحابَ من قلبِ المَعركةِ ، قَاصدينَ إلى إضْعافِ النُّفوسِ ، وزَعزَعةِ المَوقفِ الإسلاميِّ ، وهَذا ما عَبَّر عنهُ بيانُ اللهُ تَعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

واشْتدَّ الأمرُ أكثرَ.. وأكثرَ!!

وَتابعَ الشَّابُّ (حَسن) الحِكايةَ، فكانَ ممَّا قَالَ:

وهَكَذَا نَقَضَ بنو قُريظةَ العَهدَ، وأَعلنُوا بَراءَتَهُمْ ممَّا كانَ بينهُم وبينَ رَسولِ اللهِ ﷺ!

وَاشتدَّ الأمرُ عَلى المسلمينَ، وأَتاهم العَدوُّ من فَوقهم، ومن أَسفلَ منهُم، وَاقترحَ بَعضُ المُسلمينَ أن يَحرسُوا رَسولَ الله ﷺ، وأن يَحرسُوا النِّساءَ والصِّبيانَ! ثُمَّ اشتدَّ الأمرُ أكثرَ، فحاولَ بعضُ صَناديدِ المُشركينَ اقتحامَ الخَندقِ

بِخيولهِم ، ومنهُم: عِكْرِمَة بن أبي جَهلٍ ، وضِرَار ابن الخطَّاب ، وعَمرو بن عبد ودٍّ العَامريّ..

ووصلَ الحالُ بِالمُسْلمينَ إلى أن لَجَؤوا إلى رَسولِ الله ﷺ يَطلبونَ منهُ الاستِغَاثَةَ والدُّعاءَ ، فَرفعَ المُصطَفى يديهِ وقالَ: «اللَّهُمَّ مُنزّلَ الكِتَاب ، سَرِيعَ الحِسَاب ، اهْزِمِ الأَحزابَ ، اللَّهمَّ اهزمهُم وَزَلزِلهُم.

اللَّهُمَّ إنِّي أُنشدكَ عَهدكَ ووَعدكَ ، اللَّهمَّ إنَّكَ إن تَشأْ لا تُعبَد».

يَا لبشَاراتِ النَّصرِ!!

وتَابعَ سردَ تَفْصيلاتِ وَقعةِ الأَحزابِ الشَّيخُ (سَعد) قَائلاً:

واستجابَ اللهُ الدُّعاءَ.. وهَزمَ الأَحزابَ.. وُحقِّقَ النَّصْرَ لِعبَادهِ الأَتقياءِ.. وذلكَ بأَنْ أَرسلَ الله على

الأحزابِ ريحاً بارِدةً شديدةَ البَردِ ، فجعلتْ تكفأُ قُدورَهُم ، وتخلعُ خيامَهم . . .

فما كان من المشركينَ إلاَّ أن أعلنوا الرَّحيلَ . والعَودةَ إلى مكَّةَ . . . ثُمَّ رتَّل الشَّيخُ قولَ الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾

[الأحزاب : ٩ ـ ١٤] .

أَجل أيُّها الأَحبَّة!

فَالرِّيحُ جُندِيٌّ مِن جُنُودِ الله:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾.

والذي حَمَى رَسولَ اللهِ ﷺ وَهوَ في الغَارِ.. بِواسِطةِ عَنكَبوتٍ ضَعيفٍ نَسجَ على فَمِ الغَارِ! وَبواسطةِ حَمَامَةٍ ضَعيفَةٍ بَاضَتْ عندَ فَمِ الغَارِ! هُوَ سُبحَانَه القَادرُ على أن يَنْصُرَ رَسولَهُ.. ومَن سَارَ على الدَّربِ إلى يَومِ الدِّينِ..

لأنَّ المسألةَ أَولاً وأخيراً بِيدِ الله تعالَى:

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾.

ومِنْ فَضْلِ الله وكَرَمِهِ على المُسلمينَ أن أَخرجَهم مِنَ المَعركةِ مُنتَصرينَ دونَ قِتَالٍ ولا ضَحَايَا:

﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾.

مِنْ بَركاتِ رَسولِ اللهِ ﷺ

ثُمَّ قَدَّم العريفُ (الشَّيخَ عُمر) على أَساسِ أن تكونَ كَلمَتهُ خِتامَ الاحتفالاتِ عَسى أنْ يَكونَ الختامُ مِسْكاً؟!

وبكلِّ تواضعٍ جَمٍّ.. وقَفَ الشَّيخُ عُمر وَراءَ الطَّاولةِ ، ثُمَّ قالَ:

أيُّها الأحبابُ الكِرامُ!

لَقدْ سَمِعنَا الكَثيرَ عن غَزوةِ الخَندقِ ، لكنْ سَأتحدَّثُ عن مِحورٍ وَاحدٍ هوَ:

مِن بَركاتِ ومُعجزاتِ الرَّسولِ في هذهِ الغَزوةِ.

وهِيَ حكايةٌ جميلةٌ رَواها البُخاريُّ ، ومُسلمٌ ، والنَّسائيُّ ، وأَحمدُ..:

عَن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: إنَّا يومَ الخَندقِ نَحفِرُ، فعرضتْ كُدْية[1] شَديدةٌ، فَجَاؤوا إلى النَّبيِّ ﷺ فقالُوا: هذهِ كُديةٌ عَرضَتْ فِي الخَندقِ.

فَقالَ: «أنَا نَازلٌ».

ثُمَّ قامَ وبطنهُ معصوبٌ بحَجرٍ، ولبثنَا ثَلاثةَ أيَّامٍ لا نذوقُ ذواقاً، فَأخذَ النَّبيُّ صلواتُ اللهِ عليهِ المِعولَ، فَضَرَبَ، فعادَ كَثيباً أهيل[2].

فقلتُ: يا رسولَ الله! ائذنْ لِي إلى البَيتِ.

فقلتُ لامرأَتي: رَأيتُ بالنَّبيِّ ﷺ شَيئاً ما في ذَلكَ صَبرٌ، فعندكَ شَيءٌ؟

قَالتْ: عِندي شَعيرٌ وعَناقٌ[3]، فَذبحت العَنَاقَ

---

(١) هي القطعة الصلبة، كالصخرة ونحوه.

(٢) أي: المصبوب السائل.

(٣) هي الأنثى من الماعز.

وَطَحَنْت الشَّعيرَ حتَّى جعلنَا اللَّحمَ في البرْمَةِ ، ثُـمَّ جئـتُ النَّبـيَّ ﷺ والعَجِيـنُ قـد انكَسـرَ[1] ، والبُرْمَةُ بين الأَثافيِّ ، قدْ كادتْ أن تَنضجَ ، فقلُ: طعيمٌ لي ولكَ ، فَقُمْ أنتَ يا رسولَ اللهَ ورَجلٌ أَو رَجَلانِ.

فَقالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذكرتُ لهُ.

فَقالَ: «كَثيرٌ طيِّبٌ ، قلْ لهَا: لا تنزعِ البُرْمةَ ، ولا الخُبزَ من التَّنُّور حتَّى آتي».

قالَ: «قُوموا» فقامَ المُهاجرونَ ، فلمَّا دخلَ على امرأتِهِ قالَ: ويحَك!

جَاءَ النَّبيُّ ﷺ بالمُهَاجرينَ والأَنصَار ومن مَعهُم.

قالَ: فَلقيتُ من الحَياءِ ما لا يَعلمهُ إلاَّ الله عزَّ وَجلَّ ، وقلتُ: جاءَ بالخَلقِ على صَاعٍ من

---

(١) أي: لان ورطب ، وأصبح جاهزاً للخبز.

شَعيرٍ وَعناقٍ! وقلتُ لامرأَتي: لقدْ افتضَحت! جَاءكِ رَسولُ الله ﷺ بالخَندقِ أَجمَعينَ!!

قَالتْ: هلْ سألكَ؟ قلتُ: نَعمْ.

فَقالَ: «ادْخلُوا ولاَ تَضَاغَطوا»[1] فَجعلَ يكسرُ الخُبزَ، ويجعلُ عليهِ اللَّحمَ، ويُخمِّرُ البُرْمَة[2]، والتنُّورَ إذا أخذَ منهُ، ويُقرِّبُ إلى أَصحابِه، ثُمَّ ينزعُ، فلمْ يزلْ يَكسرُ ويَغرِفُ حتَّى شبِعُوا، وبقِيَ بقيَّةٌ، فقالَ: «كُلِي وأَهدِي، فإنَّ النَّاسَ أَصابتهُم مَجَاعةٌ».

قَالَ جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ:

ذَبحنَا بَهيمَةً، وطَحَنتُ صَاعاً من شَعِيرٍ، وَهُم أَلفٌ، فأقسمُ بالله لأَكلوا حتَّى تَركُوهُ، وَلمْ نَزلْ نأكلُ ونهدِي يومَنا أَجمَع!!

---

(١) أي: لا تزاحموا.

(٢) أي: يغطي القدر.

طَلعَ البَدرُ عَلينَا

ثُمَّ أنشدَ بَعضَ الأَبياتِ في حُبِّ النَّبيِّ ﷺ ، وَوقفَ واحدٌ من الحُضورِ وَقالَ: نَرجُو من الإِخْوةِ المُنشدينَ أن ينشدُوا نَشيدَ: (طَلعَ البدرُ عَلينا) ، وَوَافقَ المُنشِدُونَ لكِنْ شَريطةَ أن يُردِّدَ مَعَهمُ الحُضورُ جَميعاً ، وَكانتْ نِهَايةً رَائعةً.. جَعلتِ الأَرواح تُحَلِّقُ في أَجواءِ الحُبِّ والشَّوقِ إلى الحَبِيبِ مُحمَّد ﷺ..

وآخر دَعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ..